عدد خاص

حلقة حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها

بغداد ٨ ـ ١٩٧٥/١١/١٧

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ـ

المجلد الخامس

أصحاب الروحانيات أو الصابئة المندائيون

بقلم الدكتور

رشيد عليان

في العراق وعلى ضفاف الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمى « البطائح »(١) .. وفي ايران على ضفاف نهري كارون والدز تعيش طائفة من الناس ـ يقدر عدد افرادها بخمس عشرة الف نسمة ـ لها لغة دينية خاصة ، وتعاليم دينية تستقل في بعضها ، وتشارك في كثير منها اهل الاديان الاخرى ، .. يطلق عليها من جاورهم ـ قديما وحديثا ـ اسم « الصابئين او الصابئة او الصبة » وتسمي نفسها « مندايي او مندائي » (٢) .

وعلى الرغم من ان طائفة المندائي تقيم في هذه المناطق منذ زمن بعيد فان المتمعن في سماتهم العامة ، كطول القامة ، وقوة البدن ، واسبال شعر الراس ، وارخاء اللحى ، وانفرادهم ـ عن الاقوام المجاورين لهم ـ في العادات والتقاليد يدرك انهم شعب غريب نزح الى هذه المناطق واستوطنها ، واحتفظ بمميزاته وتقاليده .

فمن هم المندائيون ؟ ومن اين جاءوا ؟ وما هي حقيقة دينهم ؟ وما اهم عقائدهم ، وطقوسهم ، وشعائرهم الدينية ، وكيف يتعبدون ؟ ارجو ان نوفق في الاجابة على هذه التساؤلات من خلال هذا البحث .

١ ـ اصل الصابئة المندائيين ونشأة دينهم ومصدره:

لم نعثر على مصدر يبسط لنا الحديث في تاريخ الصابئة وفي نشأة دياناتهم ومصدرها ، وتطوراتها .. ، وانما وجدنا اشارات مقتضبة جدا مبثوثة في بطون الكتب ، وهي الوقت نفسه لم تخل من التناقض والاختلاف ، مما يصعب معه الوقوف على اصلهم ، وموطنهم ، وحقيقة دينهم ، ومصادره الاولى..، ولكن « المحقق من امرهم انهم يرجعون الى اصل قديم ، لان استقلالهم باللغة الدينية ، والكتابة الابجدية ، لم ينشا في عصر حديث(٣) .

يقول الصابئة : ان دينهم من اقدم الاديان ، ان لم يكن اقدمها ، وينسبون كتابهم المقدس « كنزه ربه » ـ ومعناه : الكنز العظيم ـ الى آدم عليه السلام ، ويعتقدون ان « سام » هو جدهم الاعلى(٤) .

والواقع ان لهذا القول ما يبرره ويشهد له ، فقد قيل ان تعاليم « هرمس او ادريس » ـ الذي هاجر وابناءه من بابل الى مصر وهو يحمل عقيدة التوحيد ـ قد اثمرت ، وصار له اتباع هناك ، وانهم كانوا يسمون « الصابئة »(٥) ، وقيل ان كلمة صابئة قد اطلقت على الذين حرفوا تعاليم ادريس ،

---

(١) البطائح : جمع البطيحة ، تطلق على مسيل الماء المتسع الذي على المجرى الادنى للرافدين « دجلة والفرات » فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوبا . ويقال احيانا : بطائح واسط ، او بطائح البصرة نسبة الى هاتين المحافظتين المتجاورتين .

(٢) مندايي او مندائي : كلمة مشتقة من لفظة « مدعا او مندا » الارامية وتعني « العارف » ومنها جاءت كلمة « مندا ادهيي » وهي اسم احد الملائكة الصالحين عند المندائيين، ويعتقدون انه اول من نطق بجملة «اكه هيي ، واكه ماري» ومعناها : « يوجد حي ، يوجد اله » انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص٨ .

(٣) العقاد / ابو الانبياء ص ١٠٨ ، وانظر غضبان رومي / مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص٢٠ .

(٤) انظر : بدوي و .. رومي/مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص١٢ .

(٥) اختلف العلماء في مكان ولادة ادريس .. فقيل انه ولد في مصر بمدينة « ادفو » وقيل في « منف » وقيل انه ولد في بابل ـ وهو الارجح ـ وقالوا : انه اخذ بتعاليم « شيت » ابن آدم جد جد ابيه .. فهو ادريس بن يارد بن مهلائيل بن فينان بن انوس بن شيت ابن آدم.. وانه بلغ في الحكمة والعلوم الالهية والطبيعية والفلك مبلغا عظيما ، حتى ان بعض الامم الهته فيما بعد ، انظر : عبد الوهاب النجار/قصص الانبياء ص ٢٥ وسنية قراعة/ الرسالات الكبرى ص٢٣ والهاشمي / الاديان في كفة الميزان ص٢١ .

(٦) يعتقد الصابئون المعاصرون بان المصريين القدماء كانوا على دينهم ومن اللطيف جدا انهم ما زالوا يقيمون وجبة طقسية سنوية على ارواح المصريين الذين غرقوا في البحر الاحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة ، وهم يعتقدون بان بين اولئك الذين غرقوا قسما كبيرا يدين بالديانة الصابئية ، انظر : اساطير صابئة ص٢٧ .

واصطنع فريق منهم عبادة الكواكب ، وفريق عبادة الاصنام(٦) وفي كتاب (حران كويشا)(٧)ـ اى «حران السفلى او الداخلية» اشارة الى ان اسلاف الصابئين الاوائل قد انحدروا من مصر الى جبل « مادای » او « ميديا » في منطقة حران .

فهل الصابئة مصريون اصلا قد هاجروا من مصر الى فلسطين ، ثم الى حران .. ثم الى البطائح في جنوب العراق ؟

ام انهم عراقيون اصلا قد هاجروا مع ادريس الى مصر ..، ثم عادوا من حيث نزحوا مارين بفلسطين فحران ؟

وهل ان ادريس عليه السلام هو مؤسس ديانتهم ؟

الاحتمال الاخير غير وارد بالمرة لانهم ينسبون كتابهم المقدس « كنزاريه » الى آدم وليس ادريس .. والحق انه ليس للدين الصابئي مؤسس معروف ، ولم يدعوا هم نسبته الى واحد معين ، وان اقرب ما تشبه به هذه الديانة انها ـ كما يقول استاذنا العقاد ـ : « كالحوض الذي تصب فيه مسارب الماء من كل مورد ، فاذا اخذت ماءه فحللته وجدت فيه اثرا من كل مسرب ، ولكنها توجد فيه على امتزاج ولابد من الجهد لتصفيتها والرجوع بكل جزء من اجزائها الى ينبوعه الذي صدر منه في اصله البعيد(٨) .

واما الاحتمال الاول والثاني فقائمان ، ولعل في قصة ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ما يوضح هذين الاحتمالين ، ويشد من ازر الاحتمال الثاني .. فكل من تكلم عن عهد ابراهيم من علماء التاريخ والاثار والاديان ، اشار الى وجود الصابئة في عصره وانه اصطدم بهم وجادلهم طويلا ، ولم يتبعه الا القليل منهم ، واما اكثرهم فقد تمسكوا بصابئيتهم متذرعين بانهم انما يتبعون تعاليم ادريس(٩) .

وقد مر بنا نص الشهرستاني وهو : « كانت الفرق في زمان ابراهيم الخليل راجعة الى صنفين : احدهما ، الصابئة. والثاني ، الحنفاء » ونص الفخر الرازي : « لما بعث الله ابراهيم ـ ع ـ كان الناس على دين الصابئة ، فاستدل عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله : « لا احب الافلين »(١٠) .

فاذا عرفنا ان عصر الخليل يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وانه ولد ونشا في « اور » تلك المدينة التي لا تزال آثارها قائمة في نفس المنطقة التي كانت وما زالت موطن الصابئة الرئيسي ، وانه واتباعه اضطروا الى الرحلة الدائمة من اور الى آشور الى فلسطين الى مصر ثم الى فلسطين الى صحراء شبه الجزيرة العربية ، ثم الى فلسطين حيث استقر(١١) .

اذا عرفنا ذلك ترجح لدينا انهم اصلا من هذه المنطقة ، وان جنس اسلافهم قد غادروها لاسباب متعددة ثم عاد خلفهم اليها، وانهم لانطوائهم وانعزاليتهم ، وتشددهم في نقاوة دمائهم وانسابهم بعدم الزواج من غير جنسهم او تزويجهم ، قد حافظوا على سماتهم المميزة ، وعاداتهم الخاصة ، وتقاليدهم الموروثة ، في حين تطور من حولهم من اقوام وتحضروا .. ، لهذا يبدو الصابئة غرباء في موطنهم .

ولكن هذا الترجيح يبدو ضعيفا نتيجة رفض المندائيين الاعتراف بان موطنهم الاصلي هو جنوب العراق ، واعتقادهم انهم جاءوا من الشمال ، وقد يكون هذا الرفض وذاك الاعتقاد راجعين الى سبب ديني ، وهو اعتقاد المندائيين بان الشمال موطن الاسلاف الالهيين ، وانه مصدر النور والمعرفة .. يستقبلونه في صلاتهم ،ويوجهون اليه بعد مماتهم ، واما الجنوب فهو مصدر الشر والظلام جاء في كتابهم المقدس « كنزه ربه » .. ان عوالم الظلام تقع في الارض المنخفضة في الجنوب .. واولئك الذين يسكنون في الشمال هم بيض البشرة .. ، اما اولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين .. » (١٢) .

واذا صح ان جنوب العراق ـ حيث يقيمون اليوم ـ ليس موطن المندائيين الاصلي وانهم قدموا من الشمال .. فيكونون عندئذ غرباء حقا .. غرباء في السمات . غرباء في العادات والتقاليد .. ، ولكن متى ، ولماذا ، وكيف وفدوا الى هذه المنطقة ؟

اجاب كتاب « حران كويشا » على هذه الاسئلة ، وافاد ان المندائيين كانوا يقيمون في فلسطين وانهم اضطروا ـ بعد وفاة يحيى ـ ع ـ بستين عاما الى الهرب من اضطهاد اليهود لهم في اورشليم .. فاخذوا يبحثون لهم عن ماوى في جبال « ميديا » ومدينة حران في تلك الجبال .. وفي حران وجدوا اخوانا لهم في الدين « الصابئة الحرانية » .. ثم من هناك بدات هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك « اردوان » الى القسم الادنى من بلاد ما بين النهرين ، حيث اقاموا لهم مراكز بين واسط وخوزستان في مكان يسمى «الطيب» ـ في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة ـ وفي الكتاب اشارة الى الفتح العربي الاسلامي لتلك المنطقة ، وذكر ان وفدا من المندائي برئاسة احد كبار كهنتهم ويدعى « دانقا » قد ذهب لمقابلة القائد العربي ، وعرض عليه امر الصابئة ،وان القائد العربي قد اقرهم على دينهم ، واطلعهم الامان وتكمن اهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدها للرواية الشفوية التي يتناقلها المندائيون اليوم وهي : انهم هاجروا الى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين(١٣) .

---

(٧) اسم كتاب صابئي باللغة المندائية ، وقد ترجمته الليدى دراور الى الانكليزية ، وهو كتاب المفروض فيه انه تاريخي ، غير ان الحكاية فيه مزيج من التاريخ والاسطورة والنبؤة وهو احد الكتب المقدسة عند المندائيين ، وقد احتفظوا به مكتوما لصفته الجدالية.

(٨) ابو الانبياء ص ١١٤ .

(٩) انظر : المصدر السابق ص ٢٢٨ وقراءه / الرسالات الكبرى ص ٣٣ .

(١٠) الملل والنحل جـ ٢ ص٣٥ ، ٣٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٠ .

(١١) انظر : العقاد / ابو الانبياء ص١٠٨ و ٢٢٢ والدكتور احمد سوسه / العرب واليهود في التاريخ ص٢٥٦ وتؤكد احدى اساطير الصابئة على ان ابراهيم كان صابئيا .. « لقد كان ابراهيم على ملتنا ، وندعوه « بهرام » اجل لقد كان من المندائيين « بل كان ناصوراني » ص٢٨ من اساطير وحكايات شعبية صابئية / الليدي دراور .

(١٢) الليدى دراور / مقدمة الكتاب السابق ص١٣ .

(١٣) انظر بدوى وروسي / مقدمة الكتاب السابق ص١٣ .

يبدأ الكتاب بالتالي :

« ٠. واستقبلتهم « حران » المدينة التي كان فيها « الناصوراني »(١٤) . ولهذا فليس من سبيل لملك اليهوطايي « اليهود » .. وكان على رأسهم الناصوراني ـ ملك اردوان ـ وقد عزلوا انفسهم عن العلامات السبع (١٥) ودخلوا في جبل مادای ، حيث اصبحوا احرارا من تسلط جميع الاجناس، واقاموا المنادی(١٦) وسكنوا هناك بامر الحي ، وبقوة ملك النور السامي ..

ويشير المخطوط الى ولادة يسوع باختصار فيقول :
« لقد حرف كلمات النور ، وابدلها بالظلام ، وغير دين اولئك الذين كانوا على ديني ، وبدل جميع الشعائر ٠. »

وبعد ذلك تحدث عن ولادة يحيى ، وتنشئته في «الجبل الابيض » وتعميده وتعليمه ،وادخاله الكهنوتية في جبل مادای، ثم الاتيان به الى مدينة اورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل مادای :

(ثم جاء به « انوش اوثرا »(١٧) الى مدينة اورشليم حيث الجماعة التي اوجدتها « الروحة »(١٨) وكلهم كان من اتباعها واتباع ابنائها عدا اولئك الذين هم في جبل مادای) .

ويصف المخطط يحيى ـ ع ـ بانه معلم ،ومعمد ، وشافي:

« لقد علم حواريين وجعل الكسيحين يسيرون على ارجلهم .. »

ثم ذكر اضطهاد اليهود للناصوراني مما اضطر من بقي منهم الى ا لهرب واللجوء الى ج بال ميديا ، واشار الى معاقبة مضطهديهم من اليهود بواسطة ملك النور السامي « وذهب انوش اوثرا » واحرق مدينة اورشليم وخربها وقتل بني اسرائيل وكهان اورشليم ، و جعلها اكواما من الخرائب » .

(١٤) الناصوراني : تطلق على المتمكن من امور الدين والعالم بأسراره الخفية وليس له صفة كهنوتية .

(١٥) لعل العلامات السبع هي ابناء الروحة ـ روح الثر ـ السبعة وهي الكواكب السبعة التي كان يعبدها الحرانيون وهي :الشمس ، القمر ،والمريخ ، والمشتري وزحل ، وعطارد والزهرة .

(١٦) المنادي : جمع مندى ، والمندى هو بيت عبادة الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم المقدسة ، وتعقد في بهوه ، مجالسهم الروحية ، ويجرى عنده تعميد رجال الدين، وهو يقوم عادة على الضفاف اليمنى من الانهر الجارية ، ويبنى من حزم القصب والبواری ، ويطلى من داخله بالطين الحر ، ويحاط بسياج من قصب وطين ، وتكون له نافذتان وباب واحد ، يقابل الجنوب ليستقبل الداخل اليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب في عالم الانوار ، ولايجوز لغير رجال الدين الدخول اليه خلال ساعات العمل الديني ويدعى الصابئة ان المندى قديم قدم الصابئة وانه كان معروفا منذ عهد آدم عليه السلام وكان يبنى من البلور فلما طردوا من القدس صاروا يبنونه من القصب والبواري .

(١٧) انوش اوثرا : ملك النور السامي الخير .

(١٨) الروحة : الروح ـ ملك ـ الشريرة التي تجسد المادة والحياة الطبيعية .

ثم ارخ المخطوط استيطان الناصورائي للطيب ـ جنوب مدينة العمارة في جنوب العراق ـ وبعد ذلك تحدث عن فتح العرب ، وذكر قدوم الوفد الصابئي على الملك العربي «الرسول» واوضح له ان لدى الصابئة كتبا مقدسة ودينا قديما « وهكذا حصل الصابئة على الامان » وعاشوا في ظل المسلمين كاهل كتاب « لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » وقد طلقت الليدى دراور ـ التي كان لها فضل ترجمة هذه المخطوطة من اللغة المندائية الى اللغة الانكليزية ـ على هذه الوثيقة التاريخية بقولها : ـ

« ومهما كان الامر فالاسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهب باتجاه واحد ، هو انه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريبا قد استوطنت بلادا جبلية شمالية ، وان هذه البلاد لها ما يربطها بحران . وان فئة دينة من اورشليم هاجرت بعد ذلك الى الجنوب كان لها نفس المعتقدات وان لفظ المادای او المندائي لا علاقة له بالدين (١٩) .

وهناك حكاية يتناقلها الصابئة المندائيون ، وهي خليط من كتاب « دراشه ادبهيا » وكتاب « كنزه ربه » وكتاب « حران كويثا » تذهب الى ابعد من تاريخ الصابئة في مصر ، وانتقالهم الى فلسطين ، ثم هروبهم الى جبل مادای في حران ، وهجرتهم بعد ذلك الى جنوب العراق حيث استقروا حتى يومنا هذا ، والجدير بالحكاية انها تجعل موطن الصابئةالاول هو جزيرة سيلان .

وخلاصة هذه الحكاية هي : ان المندائيين الاول كانوا في جزيرة سرنديب « سيلان » و (قد قضى عليهم جميعا الطاعون ما عدا زوجا واحدا هما « رام » و « رود » وتكاثروا من جديد، ولكن نارا اشتعلت وقضت عليهم ما عدا زوجا واحدا ايضا هما « شوربى وشرحبيل » و « صار لهذين ابناء وتكاثروا واصبحوا شعبا مرة اخرى » . حتى عصر الطوفان .. (واخيرا اوصلت الريح السفينة الى مصر حيث رست .. نزل سام وعاتق زوجته واباه وحمد « بيت الحياة » على سلامتهم . ثم انه خرج وبنى بيتا من الطين ليسكنه هو وزوجه ، بينما ذهب نوح يمتع نفسه بالدنيا وجاءت « الروحة » وشاهدت نوحا وتنكرت له بزي زوجته وحيته قائلة : « انا زوجتك انهوريتا » فاحتضنها ، وحملت منه ، وولدت ثلاثة ابناء ، هم : حام ويام ويافث . وكان هؤلاء اباء للجنس البشري ، فقد اصبح حام ابا للسود، ويام ابا للشعوب البيضاء ولابراهيم ولليهود ، ويافث ابا للفجر . الا ان سام وزوجته « انهر » هما اللذان انجبا المندائيين ... وفي اورشليم شاركت « الروحة » موسى نبي اسرائيل بمملكتها ، وكان موسى عدوا للمندائيين ، وكان يتنازع معهم حين كانوا في مصر ، وكان الملك « اردوان » المندائي، قد راى رؤيا سمع فيها صوتا آتيا من « بيت الحياة » يقول : انهض واترك هذا المكان من اجل سلامتك ، فنهض واخذ معه المندائيين وخرجوا من مصر ... حتى وصلوا اخيرا الى « طوره اد مدای »)(٢٠) .

هذا جل ما عثرنا عليه من تاريخ الصابئة المندائيين ، ولعله

(١٩) الليدي دراور / الصابئة المندائيون ص ٤٥ ـ ٥١ .

(٢٠) قصة وتعاليم يحيى ـ ع ـ .

(٢١) الليدى دراور / اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٢٠ ـ ٢٢ والصابئة المندائيون ص ١٥٤ .

يكفي في القاء ضوء على التعريف بهم ، وباصلهم ، وموطنهم ، وتنقلاتهم وعلاقاتهم السياسية والدينية باهل الاديان الاخرى .

وقد وضح من خلال وثائقهم ،واساطيرهم ، وحكاياتهم ان اليهود كانوا اشد الناس عداوة لهم ، فهم يصفونهم كلما مر ذكرهم بانهم « خبثاء » وانهم كانوا حليفي « الروحة » ــ روح الشر والظلام ــ بل انهم جندها المطيعون .. (.. كان النصريون على ديننا ، وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون(٢٢) شيئا من معارفنا ، وكان اليهود بصفة عامة يعبدون الروحة وابناءها وبخاصة « يوربا »(٢٣) ويجهلون النور ، وتعاليم النور)(٢٤) .

واما المسيح عليه السلام فان المندائيين يعتقدون انه كان على دينهم ولكنه (حرف كلمات النور وابدلها بالظلام ، وغير دين اولئك الذين كانوا على ديني ، وبدل جميع الشعائر ، واقام هو واخواته في جبل سيناء ، ودعوا لانفسهم جميع الناس، وجلبوهم لدينهم ، واطلقوا عليهم اسم « كريستيانا » وسموا على اسم مدينة الناصرة ..)(٢٥) .

واما محمد ــ عليه السلام ــ فان المندائيين يحترمونه ، ويلقبونه بملك العرب وبالقائد العربي ، وذلك لعدم اعتقادهم بالنبوة والانبياء ، و انما يعتبرونه ــ ص ــ ومن اخلوا عنهم كشيت ، وادريس ، وابراهيم ، ويحيى ــ عليهم السلام ــ عبادا صالحين ..وصلوا برياضة النفس ، والاخلاص في العبادة الى مقام الزلفى والالهام .. ، كما يحترمون بيت الله الحرام في مكة ، ويعتقدون ان ادريس هو الذي انشاه اول مرة ، وانه بيت زحل اعلى الكواكب السيارة (٢٦) .

ويتضح من جميع ما سبق ان المندائيين لم يكونوا هودا ولا نصارى ، كما انهم ليسوا بمسلمين لان ديانتهم اسبق ظهورا من هذه الاديان ، وتتميز ببعض العقائد والطقوس التي لا توجد فيها ،الا ان احتكاك هذه الاديان بدين الصابئة ومخالطة اهلها لهم قد تركا اثرا بالغا في طقوس المندائيين وشعائرهم الدينية ــ سيأتي بيانه ــ .

والواقع انني خلال جمعي للمادة التي تكون منها هذا البحث ارتايت ان المندائيين هي الفرقة التي ترسم خطى الصابئة الذين استجابوا لدعوة ابراهيم الخليل ، والذين انضووا تحت لواء الحنيفية . والذي حملني على هذا الراي هو النصوص التالية : ــ

١ ــ من جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم في التعميد ، وفي الرشامه « الوضوء » بالذات واثناء رش الماء على الراس.

« انا ... صبينا ابمصبته اد بهرام ربه ، ورديسي مصبتي تناطري ، وتشق لريش اشمه اد هيي ، واشمه اد منذا اد هيي مدخرالي » .

ومعناه : « انا ــ فلان بن فلانه ــ تعمدت بعمادة بهرام ــ ابراهيم ــ الكبير ابن القدرة ، وعمادي يحرسني لارتفع به الى العلا ، اسم الحي ، واسم منذا اد هيي ــ ملك صالح ــ منطوقان علي »(٢٧) .

٢ ــ ومن جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم ايضا في البراخة « الصلاة » :

« اسوته وزكوثة نهو يلغ ملكا منذا اد هيي برنيفسبتون.
اسوته وزكوته نهو يلغ ملكا هيل زيوا .
اسوته وزكوته نهو يلغ بهرام ربه(٢٨) .
ومعناه :

السلام عليك ايها الملاك الذي عرفنا بالحي .
السلام عليك ايها الملاك جبريل .
السلام عليك ياسيدي ابراهيم العظيم .

٣ ــ تتردد كثيرا في كتب المندائيين وحكاياتهم الشائعة بينهم عبارة ان ابراهيم كان على ملتهم ، وانه كان ناصوراليا .
ولكن بعدما عثرت على النص الكامل للحكاية التي ترد فيها تلك العبارة وجدتهم يقولون : ان ابراهيم قد خرج عن ملتهم ، واخذ يناصبهم العداء ،وانه تحالف مع « يوربا » احدى قوى الظلام واستمد منه قوته(٢٩) ..

(٢٢) اشار الشهرستاني الى ان فرعون كان على دين الصابئة ثم صبا عنه ودعا الى نفسه قائلا : « انا ربكم الاعلى » « النازعات اية ٢٤ » ما علمت لكم من اله غيري « القصص / ٣٨ انظر الملل والنحل جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢٣) يوربا : قوة من قوى عالم الظلام ، وهو الذي منح اليهود قوتهم في اعتقاد المندائيين ، انظر : الليدى دراور / الصابئة المندائيون ص٢٧ .

(٢٤) انظر : المصدر السابق ص٢٥ ــ ٢٦ .

(٢٥) انظر المصدر السابق ص٤٦ وهامش اساطير وحكايات شعبية صابئية ص٣٠ .

(٢٦) انظر : العقاد / ابو الانبياء ص١١١ وبدوى ورومي / مقدمة الصابئة المندائيون ص١٥ .

(٢٧) غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص٢٤ــ٢٦.

(٢٨) المصدر السابق ٢٨ ــ ٣٣ .

(٢٩) تتلخص هذه الحكاية في ان ابراهيم كان من المندائيين ، وكان اخوه رئيس القوم وملكهم وكانت عائلتهم عائلة كهنوتية ، وان ابراهيم ابتلى بدمل اضطر معه الى اجراء عملية ختان لنفسه ، وبالم كثيرا لذلك، فهو والحالة هذه لا يستطيع ان يقوم بعملية الذبح ولا ان يصبح كاهنا ، لان المندائيين يعتبرون ناقص الاعضاء والمشوهين غير طاهرين .. ولما اكتشف اخوه ما حدث ، قال له : في عقيدتنا انك لا يمكن ان تصبح كاهنا بعد الان بأي حال من الاحوال ، ومما لاشك فيه ان منشأ مرضك كان من عالم الظلام ، وانك قد اقترفت ذنبا ، فالطاهر النقي لا يمكن ان يصيبه مرض . قال ابراهيم لاخيه : من الاحسن ان اذهب بعيدا عنكم الى البراري .. وهكذا غادر ابراهيم البلد واقام له مركزا في الصحراء ، وذهب معه جميع الانجاس من بين الصابئين : المجلومين ومبتوري الاعضاء واسرهم ، وبدأ ابراهيم بعبادة « يوربا » وجاء اليه يوربا مع الريح وشرع يوجهه وقومه بما يجب عليهم عمله ، وكانوا مطيعين لاوامره ، وتكاثر قوم ابراهيم وقويت شوكتهم . لقد طمع يوربا السلطة في هذه الدنيا ، فمنح هو ابراهيم قوة سحرية يقهر بها النار فلا تحرقه .. وقال ابراهيم للمندائيين : تعالوا معنا وكونوا على ملتنا والا فهي الحرب بيننا .. واعلموا ان لدي قوة مستمدة من يوربا استطيع بها قهر اعدائي . اجاب المندائيون : نحن لا نحارب لان قتل الانفس حرام . قال لهم ابراهيم : اذن سناخذكم عنوة. وصار يلقي القبض عليهم في الطرقات والبراري ويختنهم

←

بعد ذلك تبخر هذا الراى من ذهني ، بل كدت اميل الى ان الصابئة المندائيين يقفون في الطرف المقابل للحنيفية ، وانه ليس المقصود ببهرام الذي يرد اسمه في الوضوء والصلاة ابراهيم الخليل وانما احد الملائكة المقربين . والحق انه من الصعب جدا القطع برأى حول تحديد مصدر دين الصابئين ، وانني اصبحت اميل الى انه ليس دينا منزلا وانما هو مذهب « فنوصي » واننا يمكن ان نتفهمه اكثر اذا نظرناااليه من خلال فكر المذاهب الفنوصية (الديانات القديمة غير المنزلة ، وبخاصة المجوسية « الزرادشتية ») فان الصلة بين دين الصابئة وتلكم المذاهب تبدو اوضح من الصلة بينه وبين الاديان المنزلة ، لانها جميعا قد نهلت من مصدر واحد هو « الفنوص »(٣٠) بينما الاديان المنزلة تلتقي في الاصول لانها نهلت من منهل واحد مخالف هو « الوحي » او « النبوة » .

واعتقد ان من المسلم به القول : بانه كما توجد نقاط التقاء او تشابه . ونقاط اختلاف او تعارض بين الاديان الكتابية المنزلة في العقائد والطقوس والشعائر .. كالتوحيد ، والنبوة ، والبعث .. وانواع العبادات ، والمعاملات ، واحكام الاسرة من زواج ، وطلاق ، وميراث ، ووصايا ..

توجد كذلك نقاط التقاء او تقارب ، ونقاط اختلاف او تباعد بين الاديان الفنوصية في العقائد ، والطقوس ، والشعائر ايضا .. كالتفريد او التوحيد ، والمعرفة او الالهام ، والقيامة او التناسخ ، وانواع الحلال والحرام .

كما انه توجد نقاط تشابه ، ونقاط اختلاف بين الاديان المنزلة والاديان الفنوصية في كثير من العقائد والتعليمات .. كالاعتقاد بوجود كائن اعلى ، لايدركه العقل ..واجب الوجود .. منه استمد الوجود وجوده ، والاعتقاد بالحلال والحرام ، والقدسي وغير القدسي ، وبان الغاية هي تنظيم علاق الناس في حياتهم ، وتعريفهم بمصيرهم بعد مماتهم .

بعد ذلك نقول : انه من الطبيعي ان يكون في دين الصابئة المندائيين ـ الذي هو من عائلة الاديان الفنوصية ـ تشابه مع الاديان الاخرى ـ منزلة وغير منزلة ـ في كثير من الطقوس والشعائر . وان يكون له ما يميزه ويكون شخصيته كدين .

وقد اصاب استاذنا العقاد الحقيقة عندما قال :

(يشتركون مع اصحاب الاديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الاديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في احدى الشعائر .. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والارفيين « اصحاب النحل السرية » .. كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين .. والفلاسفة واصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات . وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع)(٣١) .

ويبدو لي ان هذا التشابه والاشتراك في كثير من الشعائر مع اهل الاديان الاخرى هو سبب اضطراب كثير من الباحثين ـ قديما وحديثا ـ في تعريف الصابئة (٣٢) . والحاقهم تارة بهذا الدين او المذهب ، واخرى بذاك ...

فمن اطلع من الباحثين على احدى شعائر الصابئة التي يشتركون فيها ـ مثلا ـ مع المجوس كتوجههم في العبادة الى قطب الشمال والى الكواكب عامة . قال : ان الصابئة مجوس، او فرقة من المجوسية .

ومن راى احترامهم وتعظيمهم للكواكب لما فيها من ملائكة ـ حسب اعتقادهم ـ قال عنهم : انهم عبدة كواكب كالحرانية سواء بسواء .

ومن لحظ شعيرتهم التي يشتركون فيها مع البراهمة.. كتحرجهم من ملامسة غيرهم ، وتطهرهم عندما يلمسون غريبا في حالة من حالات العبادة . قال عنهم : انهم براهمة او فرقة من البراهمة .

ومن شاهد شعيرتهم التي يشتركون فيها مع النصارى وهي التعميد ، والصوم ، واحترام يحيى ـ ع ـ . قال عنهم : انهم فرقة من المسيحية .

ومن ادرك التشابه بينهم وبين اليهود في تعليمات اللبائح ، وشعيرتهم في العيد الكبير الذي يركضون فيه في منازلهم ، ويحرمون العمل فيه حتى اعداد الطعام ، وغسل الاواني والملابس ، قال عنهم : انهم فرقة من اليهود .

ومن ركز على الجانب الالهي في التفكير الصابئي المندائي ورأى انهم يميلون الى التوحيد وينبذون الشرك وعبادة الاصنام ، وانهم لا يعبدون الكواكب ، وانما يعظمونها فقط ، وادرك ان هذا التعظيم لا لذات الكواكب ، وانما باعتبارها مقرا للملائكة ، وعلم انهم يحترمون ابراهيم ـ ع ـ ويعظمونه في بعض شعائرهم . قال عنهم : انهم احناف او كالاحناف .

ومن لحظ اشتراكهم في بعض الشعائر بين اكثر من دين ، قال عنهم : انهم بين هذا الدين وذاك . كمجاهد الذي قال : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى(٣٣) ، والقرطبي الذي قال : انهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس(٣٤) .

عنوة وبهذا يجعلهم ناقضي القيمة انجاسا واذا ما قاوموا قتلهم .. » انظر : الليدي / ساطع وحكايات شعبية صابئة ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٣٠) الفنوص او « الفنوسيس » كلمة يونانية الاصل معناها « المعرفة » غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو: التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان تلقى فيه القاء فلا تستند على الاستدلال او البرهنة العقلية .. وقد اعتبر الفنوصيون عقائدهم اقدم عقيدة في الوجود ، وان الفنوصية اقدم وحي اوحى الله به . علي سامي النشار/ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ١ ص١٧٠ .

(٣١) العقاد / ابو الانبياء ص ١٠٩ .

(٣٢) يضاف الى ذلك ما ذكرت في بداية البحث من ان رجال الدين الصابئي لا يقرون علنية الدين ، حتى يبقى تفسيره وقفا عليهم ، وكتمانهم الشديد لكتبهم الدينية ، وقلة من يعرف لغتها ، لانها مكتوبة باللغة المندائية التي هي احدى فروع اللغة الارامية ،قريبة من السريانية ، وانطواء الصابئة على انفسهم وعدم مخالطتهم لغيرهم ، وكون ديانتهم ليست تبشيرية .

(٣٣) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ١٠٤ .

(٣٤) نفسه .

والغريب في الامر ان الصابئة : علماء ومثقفين ، يلتزمون الصمت ـ قديما وحديثا ـ تجاه تلكم الاراء فلا يدحضون ما يرونه مخالفا لعقيدتهم منها ، كما انهم لا يؤيدون او يصححون ما يستحق التاييد او التصحيح منها . متذرعين بان ما يقال عنهم وعن دينهم سواء كان صوابا ام خطا ـ لا يهمهم مادامو يتمتعون بالحرية الدينية التي تمكنهم من ممارسة شعائرهم حيث يعيشون كما هو واقع الحال .

وقد وعد اثنان من الباحثين المندائيين المعاصرين(٣٥) بنشر كتاب يعطينا فكرة صحيحة ، ويزودنا بمعلومات دقيقة وافية عن دينهم : عقيدة وطقوسا وشعائر . ولكن يبدو انهما اكتفيا بترجمة كتاب « الصابئة المندائيون » الذى الفته المستشرقة الانكليزية « الليدى دراور » .

ورغم ان الكتاب قيم ، وفيه معلومات دقيقة ، قد افدنا منه ومن مقدمتهما له وتعليقاتهما عليه كثيرا ، ورغم صدور عدة كتب وابحاث بلغات اجنبية وعربية عن الصابئين حرانيين ومندائيين ، فاننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من المعلومات التاريخية والدينية عنهم .

لذلك نامل ان يبر الباحثان الفاضلان بوعدهما وان نرى الكتاب قريبا .

٢ اصول الدين الصابئي :

عرفنا ان الصابئية دين قديم ، له مميزاته وفلسفته الخاصة ، وان لاتباعه طقوسهم وشعائرهم المميزة ، ولفتهم الدينية المستقلة . وان اشتراك هؤلاء الاتباع مع اصحاب الديانات الطبيعية كالمجوسية والهندوسية في كثير من الشعائر والطقوس لا يعني تبعية دينهم لهذه الديانات او تفرعه عنها او عن احداها . وان التقى معها ـ في نظرنا ـ في المصدر وهو « الفنوص » .

وعرفنا ايضا ان تشابه بعض شعائرهم مع كثير من شعائر اصحاب الاديان المنزلة الحنيفية « ملة ابراهيم » ، واليهودية ، والمسيحية ، والاسلام امر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم ، ولكنه لا يعني اندراج دين الصابئة تحتها او تبعيته لها او لاحدها ، او تفرعه عنها او عن احدها .

فقد اتضح لنا انه اقدم منها جميعا رغم تاثره بها جميعا، وليس ببعيد ان يكون بعضها قد تاثر به ايضا .

وبهذا يتضح لنا خطا كثير من الباحثين الذين الحقوا الصابئة باهل تلكم الاديان والمذاهب الطبيعية او المنزلة ، ودعواهم ان دين الصابئة قد تفرع عن هذا الدين او ذاك ، او تركب من هذا الدين وذاك .

واصدق دليل على ذلك القرآن الكريم :

« ان الذين امنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ، ان الله على كل شيء شهيد »(٣٦)

فان من ينعم النظر في هذه الآية الكريمة يدرك ان الله ـ تعالى ـ قد اعتبر الصابئة دينا مستقلا .. حيث لم يلحقه بغيره من الاديان الخمسة المذكورة في الآية ، وانه ـ سبحانه ـ قد فرق بين الصابئة كاهل دين وبين اهل الاديان الاخرى ، طبيعة كالمجوس والشرك « الذين اشركوا » ومنزلة كالمسلمين « الذين آمنوا » واليهود « الذين هادوا » والنصارى .

وقد يستنتج من الآية ان المقصود بالصابئين فيها هم «المندائيون» لاندراج « الحرانيين »(٢٧) تحت «الذين اشركوا» . وان الصابئين المندائيين ليسوا مشركين للمغايرة نفسها ، وللعطف بالواو الذي يقتضيها في اللغة .

ومما يقوى هذا الاستنتاج استقبال الرسول ـ ص ـ لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم ، واخبروه بما في كتبهم ، واعطاؤه الامان لهم ، وايصاؤه بهم خيرا فيما يروى عنه : « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » وايضا تمييز المسلمين بينهم وبين المشركين في المعاملة ، واجماع فقهائهم على اعتبارهم من اهل الذمة ، رغم اختلافهم في اعتبارهم من اهل الكتاب، فابو حنيفة اعتبرهم من اهل الكتاب ، ولم يعتبرهم جعفر الصادق منهم . واعتبرهم الاوزاعي ومالك بين اليهود والنصارى ، وقال الحسن البصري : انهم بمنزلة المجوس ، والامام احمد : انهم من النصارى واليهود(٣٨) .

واما اصول الدين الصابئي : فهي ـ كما هو مدون في كتبهم الدينية ـ تتلخص في انهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بارفع الصفات ويؤمنون باليوم الاخر، والحساب والجزاء ، والنعيم والعذاب في عالم النور او عالم الظلام . ويعتقدون بالملائكة ، وبانهم مخلوقون لله ، وان مقرهم الكواكب ولذا يعظمون تلك الكواكب ، ويؤمنون بانه لابد من متوسط روحاني « ملك » يهدى الناس الى الحق ويكون شفيعا ووسيطا لهم عند الله ـ وهم يتطهرون ويصلون ، ويصومون عن اكل اللحوم حوالي خمسة اسابيع متفرقة ايامها على طول السنة ، ولهم طقوس كثيرة اهمها : احترام النجوم واستقبال نجم القطب ، وتكريم الكواكب السيارة ، ولديهم شعائر كثيرة اهمها : الارتماس في الماء الجاري ، ولاجله التزموا الاقامة على ضفاف الانهر وبقرب المياه الجارية ، ولهذا ايضا سماهم من جاورهم « المغتسلة والسابحة » اشارة الى تلك الشعيرة المهمة .

وقد بين لهم دينهم الحلال والحرام في القول والفعل والعمل ، وشرع لهم احكام الاسرة من زواج وطلاق وميراث .. »(٣٩)

كان ذلك مجمل عقائد المندائيين واصول دينهم ، وقبل ان

---

(٣٥) هما السيدان : نعيم بدوى وغضبان رومي .

(٣٦) الحج / وانظر الاية ٦٢ من سورة البقرة واية ٦٩ من سورة المائدة .

(٣٧) وضح لنا من خلال عرض عقائد الصابئة الحرانيين في القسم الاول من هذا البحث الذي نشر في العدد ١٩ لسنة ١٩٧٦ من مجلة كلية الاداب انهم وثنيون حيث اشركوا في عبادة الله عبادة الكواكب .

(٣٨) انظر : د . عبد الكريم زيدان / احكام الذميين والمستامنين في دار الاسلام ص ١٣ـ١٥ .

(٣٩) انظر العقاد / ابو الانبياء ص ١١٢ والسيد عبد الرزاق الحسني / الصابئون ص ٣٥ والدكتور يحيى هويدى / محاضرات في الفلسفة الاسلامية ص٤٦ والشيخ محمد الخضر حسين / محمد رسول الله ص٢٤ وبدوى ورومي/ مقدمة الصابئة المندائيين ص٢١ والليدى دراور /الصابئة المندائيون ص ٢٧ .

ابدأ بعرضها بشيء من التفصيل سأعرض ما كتبه الشهرستاني عنهم فهو افضل واوثق من كتبوا في هذا الموضوع من علماء الملل والنحل ومؤرخي الاديان .

يقول الشهرستاني تحت عنوان « مذهب اصحاب الروحانيات »(٤٠) : ومذهب هؤلاء : ان للعالم صانعا ، فاطرا، حكيما مقدسا من سمات الحدثان . والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين اليه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا ، وفعلا ، وحالة .

اما الجـــوهر :

فهم المقدسون عن المواد الجسمانية ، المبرءون عن القوى الجسدانية ، المنزهون عن الحركات الكائنية ، والتغيرات الزمانية . قد جبلوا على الطهارة ، وفطروا على التقديس والتسبيح : « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٤١) .

« يقولون : وقد ارشدنا الى هذا معلمنا الاول هاذيمون، وهرمس « شيت وادريس عـه » فنحن نتقرب اليهم ، ونتوكل عليهم ، وهم اربابنا وآلهتنا ، ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله ، وهو رب الارباب ، واله الالهة ، رب كل شيء ومليكه .

فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب اخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية ، حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات . فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض احوالنا عليهم ، ونصبوا في جميع امورنا اليهم ، فيشفعون لنا الى خالقنا وخالقهم ، ورازقنا و رازقهم ، وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا ، وقطامنا انفسنا عن دنيات الشهوات استعدادا من جهة الروحانيات .

والاستعداد هو التضرع ، والابتهال بالدعوات ، واقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح ، وتبخير البخورات ، وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد واستعداد من غير واسطة، بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة .

قالوا : والانبياء امثالنا في النوع ، واشكالنا في الصورة، يشاركوننا في المادة ، ياكلون مما ناكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا في الصورة . اناس بشر مثلنا ، فمن اين لنا طاعتهم؟ وباية مزية لهم لزمت متابعتهم ؟ : « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » (٤٢) .

واما الفصـــل :

فقالوا : الروحانيات، هم الاسباب المتوسطون في الاختراع، والايجاد ، وتصريف الامور من حال الى حال ، وتوجيه المخلوقات من مبدأ الى كمال . يستمدون القوة من الحضرة القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية : فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في افلاكها ، وهي هياكلها . فلكل روحاني هيكل ، ولكل هيكل فلك ، ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي اختص به ، نسبة الروح الى الجسد . فهو ربه ومدبره ومدبره .

وكانوا يسمون الهياكل : اربابا وربما يسمونها : آباء . والعناصر : امهات . ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر ، فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات ، فيتبعها قوى جسمانية ، ويركب عليها نفوس روحانية مثل انواع النبات ، وانواع الحيوان . ثم قد تكون التاثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي ، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي ، فمع جنس المطر ملك ، ومع كل قطرة ملك .

ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو :

مما يصعد من الارض فينزل مثل : الامطار ، والثلوج ، والبرد ، والرياح ، . ومما ينزل من السماء مثل : الصواعق، والشهب .

ومما يحدث في الجو : من الرعد ، والبرق ، والسحاب، والضباب ، وقوس قزح ، وذوات الاذناب ، والهالة ، والمجرة .

ومما يحدث في الارض مثل :الزلازل ،والمياه ،والابخرة..

ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ، ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات ، حتى لا نرى موجودا ما خاليا عن قوة وهداية اذا كان قابلا لهما . واما الحالة :

فاحوال الروحانيات من الروح ، والنعمة ، واللذة ، والراحة ، والبهجة ، والسرور في جوار رب الارباب : كيف يخفى ؟ .

ثم طعامهم وشرابهم : التسبيح ، والتقديس ، والتهليل، والتمجيد ، والتحميد ، وانسهم بذكر الله تعالى وطاعته .. »

٣ ــ عقائد المندائيين :

لاشك في وجود صلة ما وتشابه او اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين صابئة حران « الحرانيين » وصابئة بطائح العراق « المندائيين » اذ لم يكن من قبيل المصادفة ان يشير ذلك الشيخ الحراني على بني قومه ان يقولوا : نحن صابئون . وذلك عندما شدد عليهم المأمون الخناق ، وخيرهم بين احد امرين :

اما ان ينتحلوا دين الاسلام ، او دينا من الاديان التي ذكرها الله في القرآن . او يتعرضون للقتل عن آخرهم (٤٣) .

وكذلك لم تكن من قبيل المجاملة تلك العبارة التي وردت في كتاب المندائيين المقدس « حران كويثا » وهو يؤرخ لخروج المندائيين م ن فلسطين الى جبال ميديا .. » .. وفي حران وجدوا اخوانا لهم في الدين » .

ولعل اهم تشابه بينهما هو تعظيم الكواكب .. ولكن مع فارق جوهري ، فبينما نجد الحرانيين يعبدون الكواكب مباشرة

(٤٠) الملل والنحل ج٢ ص٦٤ ــ ٦٦ وانظر : محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين ج ٥ ص ٤٢٦ .
(٤١) التحريم / ٦ .
(٤٢) المؤمنون / ٣٤ .
(٤٣) انظر : ابن النديم / الفهرست ص ٣٢٠ .

لتشخيص الله فيها ـ عندهم ـ ويبنون لها الهياكل ، ويجعلونها مدبرات هذا العالم .. نجد المندائيين يحترمونها فقط لكونها مقرا للملائكة فالتعظيم والاحترام اذن انما هو للملائكة ، لا للكواكب ذاتها .

والواقع ان هذا التشابه مع عدم تحسس ذلك الفارق الجوهري ، دفع الكثير من الباحثين قديما وحديثا الى التسوية بين الفرقتين في الحكم ، ونعت الصابئة عموما بعبادة الكواكب .

والحق ان شعائر المندائيين المعاصرين لم تخل من تقديس الكواكب كالاتجاه الى نجم القطب في العبادة ، وممارسة بعض رجال الدين منهم التنجيم . وقد انصف استاذنا العقاد وهو يتحدث عن عقيدتهم ويصف الصابئة بانها ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة « .. فان بقايا التنازع بين المعتقدات ظاهر في العقائد الصابئية يكاد بعضها ان يكون ردا على البعض الاخر ، فلا وثنية ولا ايمان بالكواكب من جهة ، ولا خلاص في الوقت نفسه من الوثنية والايمان بالكواكب على صورة من الصور .. »(٤٤) .

أ ـ عقيدتهم في الله :

يعتقد المندائيون ان الله واحد ازلي ابدي ، لا اول لوجوده ، ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، لا تناله الحواس ، ولا يغضي اليه مخلوق ، وانه لم يلد ولم يولد ، وهو علة وجود الاشياء ومكونها(٤٥) .

وقد اجاب احد المندائيين المعاصرين على سؤال : من هو الله ؟ بقوله : « هو الحي الازلي خالق السموات والارضين ، وكل ما فيها ، وما طيها ، ورب الجميع .

ومن صفاته : انه ملك عالم الانوار السامي ، رب الحق،ذو الحول الشامل ، الذي لا شبيه له ، النور النقي ، الذي لم ير ، ولم يسمع ، الغفور التواب ، الرحمن الرحيم ، العارف بكل شيء ، الحكيم العليم ، لا شريك له بسلطانه ..»(٤٦)

ب ـ عقيدتهم في الروحانيات :

يعتقد المندائيون بان الملائكة مخلوقون لله ، وانهم منزهون عن المادة ، قد فطروا على الطهارة ، وجبلوا على التقديس والطاعة ، ويعتقدون ان فريقا من جنسهم قد اوكل اليهم مساعدة الخالق ـ تعالى ـ في عملية الخلق ، وتدبير الكون ، وادارة شؤون العالم . منهم : « هيبل زيوا » و « ابائر » و « بشاهيل » وان هؤلاء يعلمون كل شيء ، ويعرفون الغيب ، ولكل منهم مملكة في عالم الانوار « المي دنهورا » ولذلك فهم يلون الله في المنزلة والاهمية والاجلال والتعظيم(٤٧) .

ويعتقد المندائيون بالارواح الخبيثة ويسمونها «المي دهشوكا» ويقولون انها مختلفة الاديان ، فمنها صابئة ومنها يهود ونصارى ومسلمون ، ومن هذه الارواح ما هو موكل بعذاب النفوس في « المطراني » ومنها ما هو مغري بتجربة البشر واستدراجهم الى المعصية ، ومنها ما دابه الحاق الاذى بالناس . فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من اصحاب الاديان الاخرى(٤٨) .

ج ـ عقيدتهم في النبوة :

النبوة بمعنى ان يزود الله انسانا بالدين والمعرفة ، وينزل عليه صحفا او كتبا او يوحي اليه بشرع ، ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم الى الشرع والدين مرفوضة عند المندائيين ، لان الله لايكلم احدا من البشر ، ولان المبعوث مشارك للمبعوث اليه في المادة والصورة ، فمن اين لنا طاعته ؟! وباي مزية لزمت متابعته ، قالوا : « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » .

وهم في الوقت الذي ينفون فيه نبوةاحد من البشر،يقولون: لابد من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس الى الحق .. يستمد المعرفة من الحضرة القدسية ، ويفيض الفيض على الموجودات السفلية فكلام الله لا يصل الى الناس الا بوساطة مخلوق بين النور والتراب . ويذهبون الى ان الانسان الذي يطهر نفسه ، ويهذب اخلاقه ، ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ، ويكون حكمه وحكم من يدعي الوحي « النبي » على وتيرة واحدة . ومن هذا القبيل ـ في نظرهم ـ آدم ، وشيث ، وادريس ، ويحيى ـ ع ـ فهم ليسوا انبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند اهل الاديان المنزلة وانما هم اناس طهروا انفسهم من دنس الشهوات ، وراضوها على الطاعات حتى توصلوا بنوع من الكشف الى المعارف العليا ، وتذوقوا تلك المعارف تذوقا مباشرا ، ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بانهم معلمون ، معرفيون .. ، واذا ما وصفوهم بالانبياء فانما يقصدون ذلك اى انهم معلمون ، يستمدون معارفهم بطريق الكشف ، والتذوق المباشر ، لا بطريق الوحي ، ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال. والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون الى هؤلاء المعرفيين لم يدعوا انها منزلة عليهم من الله ، وانما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الالهي ليس غير .

قالت المستشرقة الكبيرة الليدي دراور في عقيدتهم في يحيى ـ ع ـ :

« الصابئون لا يدعون بان دينهم او شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا ، بل ان كل ما ينسب اليه هو انه كان معلما عظيما ، وانه كان يمارس وليمة التعميد كالكاهن ، وان تغييرات دينية معينة تنسب اليه ، كتقليل اوقات الصلاة ـ وعددها ـ من خمسة الى ثلاثة يوميا ، فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين « ناصوراثيا » اى طبيعيا في العقيدة ، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء ابدان الناس وارواحهم ، فهو بفضل علمه « ناصوروثه » لا يظله الحديد ، ولا تحرقه النار ، ولا يغرقه الماء .. ،

وعيسى ـ ع ـ بالنسبة للاهوتيين الصابئين «ناصوراثي» ايضا ، الا انه خرج على الدين ، وقاد الناس الى دين اخر ، وباح بالعقائد الباطنية ، وجعل الدين اكثر يسرا(٤٩) .

---

(٤٤) ابو الانبياء ص١١٤ وانظر : بدوى ورومي / مقدمة الصابئة المندائيين ص ٢١ .

(٤٥) السيد عبد الرزاق الحسني / الصابئون ص ٤٣ ومجلة العربي العدد ١١٣ عام ١٩٦٨ م .

(٤٦) غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٩ .

(٤٧) انظر : الليدي دراور / الصابئة المندائيون ص ١٣٣ واساطير وحكايات شعبية صابئية ص ١٠ والحسني / الصابئون ص ٤٣ .

(٤٨) الحسني / الصابئون ص ٤٤ والليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ٢٧ .

(٤٩) الصابئة المندائيون ص ٤٢ .

وجاء في كتاب « حران كويثا » ان المسيح كان على ملة الناصوراثيين المندائيين وانه بعد ان تعمد على يد « يوحنا المعمدان » خرج على ملتهم ، واتخذ له ملة جديدة(٥٠) .

ومر بنا انهم يقولون : ان ابراهيم الخليل ـ ع ـ كان على ملة المندائيين ، (بل قد كان « ناصورائيا ») وانه خرج على ملتهم ، واخذ يناصبهم العداء .

وجاء في كتاب « كنزا ربه » : « انه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى « دارا ملكه » ولما مات تشتت الصابئة ، وتبعثرت كتبهم ، بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود ، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب ، وصنف كتبا اخرى وزعها على اتباعه ، كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم اليهود ، وامرهم بالرجوع الى كتبهم القديمة . فمنهم من لبى الطلب ومنهم من رفضه(٥١) .

ولعدم تركيز وتعويل الصابئة المندائيين على النبوة والرسالة ، واعتبارهم عددا من الانبياء ناصورائيين مندائيين ، وكذلك لعدم نسبة دينهم وشرعهم الى واحد معين من هؤلاء.. » واصرارهم على ضرورة وجود متوسط روحاني للهداية والارشاد، وتوجههم الى الفيض الالهي كمصدر للدين والمعرفة . كانت قناعتي بان الدين الصابئي دين معرفي .

وقد وجدت في عبارات بعض الباحثين منهم ما يؤكد هذه القناعة ، فقد جاء في مقدمة كتاب (الصابئة المندائيون) : (ان اعتقاد الصابئين بالله يشبه الى حد كبير اعتقاد الفئات الغنوصية « العرفيين » حيث انهم يدركونه عن طريق الفيض الالهي ، ومن مظاهر الخليقة التي ابدعها)(٥٢) .

ولكن للانصاف نقول : ان كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة ، وانها وصفت بعض الناصورائيين بهما . فقد جاء في كتاب « حران كويثا » و « دراشة ادبيها » ان يوحنا كان نبيا ورسولا ، ومثل هذا الوصف ، ووجود هاتين الكلمتين في كتبهم يساعد المندائيين على مجاراة اهل الاديان المنزلة المعايشين لهم على ادعاء ان لهم انبياء ورسلا ، كما لغيرهم ، وان دينهم ذو جذور سماوية ، ومما يقوى ادعاءهم هذا ايمانهم بالله واحد .

والحق ان المندائيين لم يقصدوا من هاتين الكلمتين معناهما المعروف ، وانما ارادوا المعنى الذي اشرنا اليه قبل وهو ان الموصوف بهما « معلم ، ضليع ، ملهم » وانه قد ادى مهمته على اكمل وجه .

ومما يؤيد هذا ويدعمه تعليق بعض الباحثين المندائيين على النص السابق الذي ورد فيه وصف يحيى بالنبوة والرسالة، وهو : (يقصد الصابئون من كلمة رسول « شليها » انه جاء الى الدنيا بامر من الرب وبمهمة خاصة ، لا بمعنى الرسول الذي يأتي بدين جديد(٥٣)

(٥٠) بدوى وروبي / هامش اساطير وحكايات شعبية صابئية ص ٣٠

(٥١) الحسني / الصابئون ص ٦٤ .

(٥٢) بدوى وروبي / مقدمة الصابئة المندائيون ص ١٩ .

(٥٣) نفسه / هامش الصابئة المندائيين ص ٤١ .

د ـ عقيدتهم في الموت والحياة الاخرى والجنة والنار :

يعتقد المندائيون ان الموت انتقال من العالم المادي ـ الذى هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح التي سرعان ما تتحرر باللوت وتنتقل ـ الى العالم الروحي وتخلد هناك ، لان عندهم الجسد فان والروح خالده ، ولكن بعد ان تحاسب حسابا عسيرا ، بان توزن اعمال صاحبها ، فان رجحت حسناته فان روحه تذهب الى عالم الانوار « الجنة » وتتنعم هناك بما يتنعم به القديسون والروحانيون . وان رجحت سياته فان روحه تقاد الى المطهر « المطرانه » في عالم الظلام « النار » حيث تعذب فيه بدرجات متفاوتة الى ان تطهر من ذنوبها ثم ترسل الى عالم الانوار(٥٤) .

٤ ـ عبادة المندائيين :

الصابئة المندائيون من اكثر الامم تعبدا ، واشدها تدينا، ومحافظة على طقوسهم وشعائرهم ، وعاداتهم وتقاليدهم الصابئية ، لذلك لا نستبعد ان تكون صلاتهم وصيامهم اول كيفية عرفها البشر للصلاة والصوم .. ، وتشتمل اقامة هذه الصلاة على رسوم وطقوس اضيفت اليها على توالي الازمنة ، تبدا بالطهارة وتنتهي بتادية الصلاة .

١ ـ الطهـــارة :

٢ ـ الوضوء « الرشـامة » :

حين يقترب المندائي من النهر يقول :

« باسم الحياة العظمى لك الشفاء والطهر يالابي واباهم ملكا بريا ويز ، اليردنه العظمى للماء الحي »

ثم يشد حزامه ، ويجلس على شاطىء النهر متجهـا نحو الجدي ، ويتلو النية بلفته ، وترجمتها : « السلام عليك ايها الماء الجارى من تحت عرش الرب الذي يحيى بك كل ما في الارض » .

ثم يشرع في الوضوء مبتدئا بغسـل اليدين الى المرفقين « تلانا » وهو يقول : « باسم الحياة العظمى اطهر يدي بالصلاح، وشفتي بالايمان لينطقا كلام النور ، وليجعل وضوئي حسنا بافكار النور » .

ثم يغسل وجهه « تلانا » وهو يقول : « تبارك اسـمك وسبحان اسمك ربي الحي ، تجري هذا ، حمدا لسيماء الجلال الاعظم الذي قام من ذاته » .

ثم يبل يده بالماء ، ويجمع اصابع يده اليمنى ، ويمررها على جبهته ، من مبدا صدغه الايمن حتى نهاية صدغه الايسر « تلانا » وهو يقول : «انا ـ فلان بن فلانه ارسم برسم الحياة، اسم الحي ، واسم مندا اد هيي منطوق على :

نطقنا بكلام النور وضمائرنا نقية مؤمنة بافكـار النور ، ابارك اسمك ، واسبح اسمك . الهي عارف الحياة « مندا اد هيي » مبارك وسبح انت ياذا السيماء العظيمة . سـيماء الجلال ياعن انبعث من ذاته » .

(٥٤) انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص١٠ وبدوى رومي / مقدمة كتاب (الصابئة المندائيون)ص١٩ والحسني / الصابئون ص ١٣٠ و ١٣٨ .

ثم يدخل سبابتيه في اذنيه « تلانا » ويقول : « الذاى يصفيان لصوت الحي » ثم يستنشق « تلانا » ويقول : « انفي يشم رائحة الحي » .

ثم يرش قليلا من الماء على ركبتيه « تلانا » ويقول : « ركبتاى تنثنيان وتسجدان للحي ربي » .

ثم يرش قليلا من الماء على رجليه « تلانا » ويقول : « رجلاى سالكتان طريق العهد والايمان »

وبعد ذلك يقول :

« رسمي لدى ، انه ليس من عبدة النار « المجوس » ولا من اتباع موسى «اليهود » ولا من اتباع المسيح ، انه مرسوم بالماء الجاري الرباني ماء الحي الذي لا يجحد الانسان قدرته، اسم الحي واسم مندا اد هيي مذكور علي » .

ثم يرش قليلا من الماء على رأسه ويقول : انا ـ فلان بن فلانه ـ تعمدت بعماد بهرام الكبير ابن القدرة ، وعمادى يحرسني لارتفع به الى العلاء اسم الحي ، واسم مندا اد هيي منطوقان علي » .

يقوم بعدها ويغمس اطراف اصابع رجليه في الماء ويقول: « يرفع عن يدي ورجلي تسلط الشياطين والجن اسم الحي واسم مندا اد هيي منطوقان علي (٥٥) .

نواقض الوضـــوء :

الاشياء التي تفسد الوضوء عند المندائيين هي : البول ، والغائط ، وخروج الريح ، ولمس الحائض ، والنفساء ، واللحم الاجنبي ، والاكل قبل الصلاة . والوضوء ـ عندهم ـ فرض لكل صلاة ، فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد ـ كما هو الحال المسلمين ـ .

ب ـ الغسل « الطماشة » :

الاغتسال فرض عند المندائيين ، ويشترط ان يكون بالماء الحي ، ولكن بعد ان اضطر كثير من الصابئين الى العيش في المدن بعيدا عن الانهر ومنابع المياه ، اجاز علماؤهم لهم مؤخرا الاغتسال بمياه الحنفيات على اساس انها متصلة بخزانات متصلة بمياه جارية في الانهر، والسواقي، والابار النابعة، كما جوزوا جلب الماء الحي من بعيد وصبه على المغتسل .

كيفية الاغتسال :

يرتسم الشخص في الماء الجاري ثلاث مرات يقول عقب كل مرة : « باسم الحياة العظمى اسأل القوة لتنعشني قوة الريدنة الماء الجاري ، لتأتي الي قد ارتسمت في الريدنة ، تحت سطحها وقبلت الطلامة الطاهرة ، لقد لبست اردية النور ، ووضعت على راسي اكليلا متألقا ،ان اسم الحياة واسم مندا ادهيي منطوقان علي . « انا ـ ـ فلان بن فلانه ـ المتعمد بعماد بهرام الكبير بن القدرة وعمادى سيحرمني ، ويرفعني الى اعلى » .

واذا اراد المغتسل الصلاة فعليه ان يتوضا بعد الغسل، لان الغسل وحده لا يكفي ـ على نحو ما عند المسلمين ـ لاقامة الصلاة .

(٥٥) انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٢٢ ـ ٢٦ والحسني / الصابئون ص ٩٠ ـ ٩١ والليدى دراور / الصابئة المندائيون ص ١٦٨ ـ ١٧٢ .

موجبـات الغســـل :

والامور التي توجب الغسل عند المندائيين هي : الجنابة، الحيض ، النفاس ، لمس جثة الميت ، لمس شخص نجس ،.. ويجب ان يكون الغسل من الجنابة ومن لمس جثة الميت حالا قبل الاكل والشرب ... ، (٥٦)

٢ ـ الصـــلاة « البراخـــة » :

يجب على الصابئي المندائي اداء ثلاثة صلوات في اليوم : قبيل طلوع الشمس « صلاة الصبح » وعند زوالهـا « صـلاة الظهر »وقبيل غروبها « صلاة المساء » .

ويقولون : ان الصلاة كانت مفروضة عليهم خمس صلوات في خمسة اوقات في اليوم ، حتى ظهور يحيى ـ ع ـ فضم بعضها الى بعض ، وجعلها ثلاثة فروض في ثلاثة اوقات .

وتقتصر صـلاة المندائيين علـى الوقـوف ، والركـوع ، والجلوس على الارض من دون سجود ، وتستغرق قراءة الاذكار والادعية فيها ساعة وربع ساعة تقريبا .

ويقرا بلغته المندائية في صلاة الصبح ما ترجمته :

(١) سبحت الهي بقلب طاهر.موجود الحي،موجود الله،موجود مندا اد هيي . بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الانوار الله الذي انبعث من ذاته ، لا باطل ولا مبطل اسمك ياحي والهي وعارف الحياة .

(٢) مسبح ربي بقلب طاهر عهدا نحفظه باسمائكم ربي الحي . السلام والطهارة لك يا ابا بيت الرحمة الموقر .
السلام عليكم يا آباءنا القدامى الموقرين .
السلام عليكم ياكتب ربي الحي الازلي الموقر .
السلام عليكم ياالهي يامرسل الايمان الينا .
السلام عليك ايها الملاك الذي عرفنا بالحي .
السلام عليك ايها الملاك جبريل .
السلام عليك ياسيدي ابراهيم العظيم .
السلام عليك يا ام الحياة .
السلام عليك يايحيى .
السلام عليك ياشيث بن آدم الاول .
السلام عليك ايها الملاك سام .
السلام والطهر عليكم ايها الملائكة والاثرى والمساكن والحياة والجماعات وعلى ساكني عالم الانوار جميعا .
السلام عليكم والزكاة وشفع الخطايا تهدي لهذه النفس، نفس ـ فلان بن فلانه ـ التي ذكرت في هذه السورة ، وطلب الرحمة ،وشفع الخطايا الي انا .

(٣) مسبح ربي عهدا محفوظا باسماء الحي ربي ، قوموا ، قوموا ايها الابرار المتعبدون قوموا ، ياعباد يامؤمنون ، قوموا اسجدوا وسبحوا للحي ربي وسبحوا لذلك السلام، وسبحوا للاسرار الخفية النورانية ..

(٤) باسماء الحي ربي للحي سجدنا وللرب ومندا اد هيي ، ونسبح لذياك الجلال الموقر الذي انبعث من ذاته .(٥٧)

(٥٦) انظر : الحسني / الصابئون ص ٨٩ ودراور / الصابئة المندائيون ص ١٦٩ ـ ٣٥٤ .

(٥٧) رومي / تعاليم دينية لابناء الصابئة ص ٣٢ ، ٣٤ وانظر دراور / الصابئة المندائيون ص ٣٥١ وما بعدها .

ويقرا في صلاة الظهر الفقرة الاولى والثانية مما سبق في صلاةالصبح ثم يقول : « بسم الحي ربي انا للحي القيوم سجدنا ولربنا ولندا اد هيي سبحنا ، ولذياك ذى الجلال الوقر الذي خلق من ذاته »

ويقرا في صلاة المساء :

(١) باسماء الحي ربي الوقت ، لطلب الرحمة . والاذان لتلاوة السور ، تعالوا ايها اليقظون ، جبريل يعلم الساعة وشيتل يترنم بالترانيل ،كل انسان يتعمد بالعماد يسلم ويستقيم بتلاوة السور .

(٢) باسمالحي ربي ، للحي سجدنا ولله ومندا اد هيي سبحنا ولذاك ذي الجلال الوقر الذي انبعث من ذاته .

ختام الصلاة :

يقرا المندائي في نهاية كل صلاة الاتي :

« عهدانحفظه باسماء الحي ربي المتربع على عالم الانوار العالم بكل عباده السلام والزكاة لكم ياذا القوة والحق ياصاحب الامر والنهي ،وهادى القلوب . اشفع خطاياى انا ـ فلان بن فلانه ـ بقوة ياور زيوة وسيمات هيي »(٥٨) .

٣ ـ الصوم عند المندائيين :

لم يخل دين الاديان القديمة من ذكر الصوم وفرضه ، وتعيين مدته وكيفيته ـ مع اختلاف تلكم الاديان في هذه المدة والكيفية ـ ففي اخبار قدماء البابليين ، والاشوريين والمصريين ، والهنود .. ما ينبيء بان الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم ، كما فرضت اليهودية والمسيحية الصوم على معتنقيهما ، حتى جاء الاسلام فاید فرضية الصوم بقوله تعالى : « ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون(٥٩) .

والمندائيون يقرون الصوم ، ولكن لا بمعناه المعروف عند المسلمين « الامتناع الكامل عن الاكل والشرب وجميع المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس من كل يوم من ايام شهر رمضان » وانما يمتنعون عن اللحوم الباحة لهم ـ على نحو صوم المسيحيين ـ حوالي خمسة اسابيع متفرقة ايامها على طول السنة(٦٠) .

٥ ـ المحرمات عند المندائيين :(٦١)

يحرم دين الصابئة كثيرا من الامور اهمها :

١ ـ القتل والقتال ، الا في حالة الدفاع عن النفس .
٢ ـ احتساء الخمر حتى السكر ،ولعب الميسر مطلقا .
٣ ـ الاكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال منالجنابة
٤ ـ قطع الطريق وسلب المارة .
٥ ـ الاشتغال في الاعياد وفي ايام الاحد .
٦ ـ الفتنة والغيبة والنميمة .
٧ ـ الحبس من دين مهما كانت مدته .
٨ ـ حلق اللحن والشارب او الاخذ منهما .
٩ ـ حلف اليمين وان كان صادقا .
١٠ ـ الزنا واللواط .
١١ ـ الختان .
١٢ ـ مؤاكلة اصحاب الاديان الاخرى .
١٣ ـ لبس الازرق .
١٤ ـالنظر الى المحصنة بريب .
١٥ ـ شهادة الزور .
١٦ ـ الربا وربح الربا .
١٧ ـ خيانة الامانة .
١٨ ـ اكل لحم كل ذى ذنب .

٦ ـ اعياد المندائيين :

تبدا السنة عند المندائيين بشهر نيسان وتحتوى على ٣٦٥ يوما فقط وليس فيها سنة كبيسة ،وهي تقسم الى اشهر .. في كل شهر ٣٠ يوما ، ويعتبرون خمسة الايام الزائدة شهرا منفردا ، يسمونه عيد الخليقة او « البنجة » وتقع بين الثلاثين من شهر « شمبلته » ايلول واليوم الاول من شهر « قينة » تشرين اما بدء التاريخ عندهم فينقسم الى ثلاثة اقسام :

الاول ، بدء الخليقة وهبوط آدم ، وهو اول تاريخ تضبط به السنين .

الثاني ، عام طوفان نوح ، وهو الامد الثاني لتحديد السنين .

الثالث ، ولادة يحيى ـ ع ـ وهي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح ـ ع ـ الا بستة شهور ، لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الاخير مع التاريخ الميلادى ، ويتخذون منه تاريخا لامورهم الدينية وشؤونهم الشخصية(٦٢).

وهم يعظمون يوم الاحد ـ كالنصارى ـ ويقدسونه كثيرا ، ويعطلون فيه اشغالهم كافة ، اما اعيادهم فهي :ـ

١ ـ العيد الكبير ، وهو عيد راس السنة ويسمونه « دهفة ربه » ويعرف باسمه الفارسيايضا « نوروز ربه » ويسميه العامة « عيد الكرصة » ومدته يومان .. وفي اخر يوم من السنة يبدا الاستعداد لاستقبال العيد فيذبحون الخراف والدجاج .. ويخبزون الخبز والفطائر « الكماك » ويطهرون الخضر بعناية ويحفظون ذلك غذاء لهم خلال فترة الكرصة ومدتها ٣٦ ساعة تبدا من مطلع العام الجديد كما انهم يغسلون الملابس ، ويجلون الاواني ، ويجلبون من ماء النهر ما يكفيهم لتلك المدة ، وقبيل غروب شمس آخر يوم يغتسل افراد المندائيين رجالا ونساء صغارا وكبارا بالارتماس في النهر ثلاث مرات ، وتزفر النساء ابتهاجا ، ويعود الجميع الى بيوتهم حيث يجب ان يكرصوا فيها

(٥٨) رومي / تعاليم دينية ص ٣٤ ، ٣٥ ودراور / الصابئة المندائيون ص ٣٥٢ .
(٥٩) البقرة / ١٨٢ .
(٦٠) انظر : الحسني / الصابئون ص ٨٨ ورومي وبدوى / مقدمة الصابئة المندائيون ص ٢١ والليدي دراور / الصابئة المندائيون ص ١٥٤ .
(٦١) الحسني / الصابئون ص ١٢٩ .
(٦٢) انظر : غضبان رومي / تعاليم دينية ص ٣٧ والدكتور احمد الخشاب / الاجتماع الديني ص ٣٠٥ والحسني / الصابئون ص ١١٦ والليدي دراور / الصابئون ص١٤٣ .

ولا يخرجون منها ولا يقومون باي عمل فيها حتى انقضاء ٣٦ ساعة ويبقى افراد الطائفة يقظين يلعبون الالعاب ويقصون الحكايات .

واذا مس طعامهم او شرابهم حيوان او طير او زاحفة او نحلة منع تناوله ، اما اذا عض احدهم كلب او افعى او لسعته نحلة او عقرب .. فانه يعزل عن اهله ويمنع عن الاكل او الشرب بوالاختلاط باحد ما حتى اذا انتهت مدة الكرصة عمدوه في الماء الجاري ستين مرة . وبعد انتهاء مدة الكرصة مباشرة . . يرتمسون في الماء الجاري وفي الصباح يخرجون من دورهم يتزاورون ويبتهجون ويعيد بعضهم بعضا (٦٣) .

ب ـ العيد الصغير : ويسمونه « دهفة حنينه » واحيانا « دهفة طرمة » ومدته يوم واحد ويقع في اليوم الثامن عشر من شهر « تورا » ايار ولكنه يستمر يومين آخرين لاتمام شعائره وتقام خلاله مراسيم التعميد وقراءة الفواتح وتقديم القرابين على ارواح الموتى ويكثر المندائيون خلاله من اعمال البر والاحسان ، ويقيمون الافراح ويقام هذا العيد احتفالا بعودة « هيبل زيوا »(٦٤) الى عالم الانوار من عالم الظلام (٦٥) .

ج ـ عيد الخليقة : ومدته خمسة الايام الكبيسة « برونايا» او « البنجه » وفيه يقام اكبر عيد عمادى نهري ، ويكرس كل يوم من الايام الخمسة لروح نوراني(٦٦) وفيه تفتح ابواب عالم الانوار وتظل مفتوحة اناء الليل واطراف النهار، ولهذا تجوز اقامة الصلوات والمراسيم في الليل ايضا ، في حين انهما لا يجوزان في سائر ايام السنة الا نهارا وفيه يتقبل الله دعوات المؤمنين الصالحة اذا كانت خارجة من قلوب مفعمة بالايمان ، وخصوصا اذا صادفت ليلة النعم « ليلة القدر » التي هي احدى الليالي الخمس . والبنجه احتفال ديني اكثر منه عيد بهجة وفرح ، ففيه يجرى تعميد ابناء الطائفة جماعات ووحدانا ،رجالا ونساء بشخص فيه المندائي من كل مكان بعيدا الى حيث يقيم رجال الدين لغرض التعميد ، والمشاركة في الفاتحة والصدقة المباركة ، والذكرى من اجل الموتى(٦٧) .

د ـ عيد ميلاد يحيى : ويسمونه « دهفة اد ايمانه » ومدته يوم واحد ، ويأتي بعد البنجة بستين يوما وهو من اقدس الايام عندهم ، وهو احتفال بتعميد آدم ـ ع ـ وفيه يجب على الاتقياء ان يتعمدوا كاسلافهم ، وفيه كانت ولادة يحيى ـ ع ـ وبما انه يقع في الصيف فهو انسب المواسم لتعميد الاطفال لاول مرة ، ومن يتعمد فيه من ابناء الطائفة في ملابس جديدة ، فانه ينال اجر ستين عمادا(٦٨) .

٧ ـ كتب المندائيين المقدسة :

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لاديان العالم . وليس من امة على وجه البسيطة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر سماوي .

ويرى الصابئة المندائيون ان كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم ابى البشر ـع ـ

والذي يلفت الانظار بنوع خاص ان الصابئة يحرصون على منع الغير من الاطلاع على كتبهم المقدسة منعا شديدا ، لانهم يرون في هذا الاطلاع امرا محرما ، يأثم الفاعل عليه ، ولهذا لا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على احدها الا بشق الانفس . وقد حاول فريق من المستشرقين ان يحصلوا على بعض هذه الكتب ، وبذلوا في سبيل ذلك مبالغ طائلة ، فاخفق اكثرهم ، ووفق نفر قليل منهم في الحصول على بعضها ، وقاموا بترجمتها الى لغات عالمية مختلفة .

اما لغة هذه الكتب فهي « المندائية » وهي لغة سامية قريبة من « السريانية » وكانت مشهورة في قديم الزمان غير ان « المندائيين » يعتقدون بانها اللغة التي كان يتكلم بها آدم ـ ع ـ (٦٩) .

واهم كتب المندائيين المقدسة هي :

أ ـ كنزه ربه : اى الكنز العظيم ويسمى ايضا « سدره ربه » اى الكتاب العظيم او كتاب آدم وقد يكتفون بقولهم « السدره » بوجه الاطلاق ، ويعتقد المندائيون انه « صحف آدم » نفسها .(٧٠) وهو مخطوط كبير يقع في قسمين :

الاول : يحتوى على فقرات كثيرة موضوعها : نظام تكوين العالم ،وحساب الخليقة ، والتطورات البشرية، وصفات الخالق ، ووعظ وارشاد وادعية وحكايات .
والقسم الثاني : يعالج شؤون الميت .

ب ـ دراشه ادبهيا(٧١) : ويسمى ايضا « سدره ادبهيا » اى تعاليم يحيى او كتاب يحيى وارشاداته الدينية . وهو يحتوى فقرات موضوعها : النبي يحيى بن زكريا ، ولادته .. نشأته .. تربيته الدينية ، ثم دروسه ، وارشاداته ، وتعاليمه ثم وفاته وكيفيتها وصعوده الى السماء .

---

(٦٣) انظر : دراور / الصابئة المندائيون ١٤٥ ، ١٤٦ والحسني ص ١١٧ .

(٦٤) يترجم رجال الدين المندائيين هذا الاسم بـ « واهب النور» وهو اسهل واكثر الاسماء النورانيين استعمالا .

(٦٥) انظر : دراور / الصابئة المندائيون ص ١٥٠ والحسني/ الصابئون ص ١١٧ .

(٦٦) اليوم الاول (« انوش اثر » والثاني « شيشلام ربه » والثالث « يوخا شاركنه » والرابع « نابوت زيوا » والخامس « بهرام ربه » ويقولون : ان هؤلاء قد خلقوا في ايام البنجة وسموا باسمائهم فيه .

(٦٧) انظر : دراور / الصابئة المندائيون ص ١٥١ ، ١٥٢ والحسني / الصابئون ص ١٢١ .

(٦٨) انظر : المصدرين السابقين ص ١٥٣ و ص ١٢٢ .

(٦٩) د / احمد الخشاب / الاجتماع الديني ص ٣٠٢ والحسني / ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٧٠) ترجم هذا الكتاب منذ عام ١٨١٣ م من قبل مانيو نوربيرغ السويدي ، وظهرت له ترجمات وتعليقات في فترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة الاستاذ ليدز بارسكي النفيسة الى اللغةالالمانية وقد طبعت عام ١٩٢٥ .

(٧١) ترجم الاستاذ ليدز بارسكي هذا الكتاب الى اللغة الالمانية عام ١٩١٥ .

جـ ـ سدره اد نشماثه : اى كتاب التعميد وسر المعمودية المقدس . ويعتقد المندائيون انه انـزل على آدم ابـى البشر ـ ع ـ وانه اساس دين الصابئة .

وهو يحتوى فقرات موضوعها : المراسم التي ينبغـي اتباعها في الجناتز ، وتلقين الاموات ، وكيفية دفنهم ، واسباب تحريم البكاء او اعلان الحداد عليهم ، وكيفية خروج الروح من الجسد وتنقلاتها حتى تستقر في عالم الانوار ، وما الى غير ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد . كما يحتوى نصوص الصلاة التي يقراها رجل الديـن في حفلات التعميد (٧٢).

د ـ اسفر ملواشه : اى سفر البروج وهو مخطوط لاغراض التنجيم والفلك ، ويستخدمه رجال الدين لمعرفة احداث السنة المقبلة ، ومعرفة البرج الذى ولد فيه الشخص فيستنبطون اسمه المقدس «الملواشة » ويعينون به طالع المولود . كما يحتوى الكتاب على اذكار واوراد منوعة يستعين المندائي بهـا على طـرد النوائـب وابعـاد الامراض (٧٣) .

هـ ـ تفسير بغره : وهو يبحث في علم تشريح جسم الانسان، وفي الاسرار الكامنة وراء الوجبات الطقسية .

و ـ انياني : اى كتاب الاناشيد او الاذكار الدينية .

ويحتوى الاذكار التي تتلى في الصلاة اليومية ، وبعض المراسيم التي تتبع في دفن الموتى ، والطهارة الصغرى، الوضوء « الرشامه » .

ز ـ ديوان طقوس التطهير والتكريس بانواعه ، كتكريس رجل الدين وتكريس المندى، وتكريس الاستاذ « كنز فره ».

ح ـ دواوين الرقـى والتعاويـذ وتسـمى « قماهـي » و « زدستي »(٧٤) وهي عبارة عن تعزيمات شتى يضعها درج كبير ، ويدعي المندائيون ان من يحمل شيئا منها كحجاب فانه لا يؤثر فيه شيء ، لا سلاح ولا نار . وهم يحرصون عليها كل الحرص ، ولا يسمحون لمن هو على غير دينهم ان يمس الدرج الذي يحتويها حتى لا تتنجس او تفقد مفعولها .

ط ـ قلستا : اي كتاب عقد الزواج :

ويحتوى رسوم الزواج وشعائره والاحتفالات التي تقام اثناء عقده ، وكيفية تحليل النكاح الشـرعي واجـراء الخطبة وما الى ذلك .

ى ـ حران كويثا : اى حران الداخلية او السفلى .
وهو كتاب تاريخي اسطوري قصصي .

ك ـ وللمندائيين كتب اخرى عدا ما ذكرنا ، وهـي تتعلق بعقائدهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية وآدابهم وعاداتهم الاجتماعية منها كتاب « ترسر الف شياله » اى كتاب الاثني عشر الف سؤال و « ديـوان ابائـر » وهـو في محاسبة الانسان ووزن اعماله في الحياة الاخرى .

خاتمـــة :

وخير ما نختم به بحثنا هذا عن الصابئين : كلمات مأثورات للنبي يحيى عليه السلام مترجمة عن كتاب « كنزا ربه » .

ان سر عبادتك ان لا يزول اسم الله من فمك .
ان سر استقامتك ان لا تقول مالا تعرفه .
ان سر شخصيتك ان توقر الناس .
ان سر سلامتك ان لا تتكبر على من هو اكبر منك .
كن بعملك كالفلاح الطيب الذى يغرس الاشجار الطيبة.
تمثل بالجبل الكبير الذي لا تزحزحه الريح .
تشبه بالثمرة الطيبة المذاق التي نضجت من شجرة طاهرة .
تمثل بالشجرة الجميلة ذات الروائح الزكية .
كن كالجبل المغطى بالورود والرياحين والازهار .
تشبه بالنسيم العطر الذى يهب في كل باب .

(٧٢) ترجم الاستاذ ليدز باركي القسم المختص بطقوس التعميدمن هذا الكتاب الى اللغة الالمانية عام ١٩٣٠ م .

(٧٣) نشرت الليدي دراور هذا الكتاب بنصه المندائي عام ١٩٤٩ م ثم نشرته مترجما الى اللغة الانكليزية .

(٧٤) قما : باللغة المندائية تعني « يقمط » ، وزدس : تعني « يقي او يصون » .

** **

مصادر البحث
مرتبة حسب الرجوع اليها

رومي : غضبان
تعاليم دينية لابناء الصابئة ، مطبعة الجاحظ ، بغداد ١٩٧٢ م

العقاد : عباس محمود
ابو الانبياء ، كتاب اليوم ، اغسطس ١٩٥٣ م
الله ، كتاب في نشأة العقيدة الالهية ، دار المعارف بمصر

دراور : الليدي
الصابئة المندائيون ، ترجمة نعيم بدوى وغضبان رومي ، مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٤ .
اساطير وحكايات صابئية ، مطبعة الاديب البغدادية .

النجار : عبد الوهاب
قصص الانبياء ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة بمصر

قراعة : سنية
التوحيد من عهد آدم والرسالات الكبرى ، دار مطابع الشعب ، القاهرة

الهاشمي : محمد فؤاد
الاديان في كفة الميزان ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر

الشهرستاني : محمد عبد الكريم احمد
الملل والنحل ، تحقيق الدكتور عبد العزيز محمد الوكيل ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٩٦٨

الرازي : فخر الدين
اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ، مراجعة وتحرير ، علي سامي النشار مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م

موسى : الدكتور احمد
العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للاعلان والنشر والطباعة

ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل
تفسير القرآن العظيم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت

قطب : سيد
في ظلال القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٧ م

زيدان : د / عبد الكريم
احكام اللميين والمستامنين في دار الاسلام ط١ ١٩٦٣ مطبعة البرهان ، بغداد

الحسني : السيد عبد الرزاق
الصابئون ، الطبعة الرابعة

هويدى : الدكتور يحيى
محاضرات في الفلسفة الاسلامية الطبعة الاولى ١٩٦٦ م

حسين : الشيخ محمد الخضر
محمد رسول الله ، مطبعة العلم بدمشق

وجدى : محمد فريد
دائرة معارف القرن العشرين ، الطبعة الثالثة ٩٧١ م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

ابن النديم : ابو الفرج محمد
الفهرست ، نسخة مصورة عن طبعة لايبزك ١٨٧٢ م نشر مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤

الخشاب : د / احمد
علم الاجتماع الديني ، مكتبة القاهرة الحديثة

المنوفى : محمود ابو الفيض
الدين المقارن ، القاهرة .